6

الفِيلُ وَالنَّعَّامَةُ

رسوم: د. صفا لطفي

كانَتْ النَعامَةُ كَعادَتِها تَنْتَقِلُ منْ مَكانٍ إلَى أَخَرَ ، بَحْثاً عنْ الغِذاءِ معَ قَبيلَتِها الصَغيرَةِ .

سارَتْ النَعامَةُ ذاتَ مَرَّةٍ وَحْدَها , وأَصابَها العَطَشُ , فَوجَدَتْ فيلاً , سَأَلَتْهُ عنْ مَكانِ عينٍ مائِيَةٍ , أوْ أَيِّ مَكانٍ فيهِ ماءٌ , قالَ لَها الفيلُ : وأَنا مِثْلُكِ أَبْحَثُ عنْ عَيْنٍ مائِيَةٍ , فقَدْ أَصابَنِيَ العَطَشُ الشَديدُ ، وقدْ أَخْبَرَني أَحَدُ الأَصْدِقاءِ أَنَّ هُناكَ عيْناً مائِيَةً قَريبَةٌ منْ هُنا .

اصْطَحَبَ الفيلُ النِعامَةَ وسارا حَتَّى مَرَّا بِعَيْنٍ مائِيَةٍ صافِيَةٍ جَميلَةٍ ، لمْ تَسْتَطِعْ النَعامَةُ أنْ تَشْرَبَ مِنْها ، فَنَـزَلَ الفيلُ ومَلأ خُرْطومَهُ بِالمِياهِ وسَقاها , رَأَى الثَعْلَبُ ما حَدَثَ فاغْتاظَ وقالَ: كَيْفَ تَسيرُ النَعامَةُ معَ الفيلِ ؟ وكَيْفَ يَقومُ الفيلُ ويَسْقيها من العيْنِ بِنَفْسِهِ ؟ لا بدَّ أنْ أَقومَ بإفْسادِ هَذهِ العِلاقَةِ الحَميمَةِ بَيْنَهُما.

بَعْدَ أنْ سَقَي الفيلُ النَعامَةَ ,أُصيبَتْ النَعامَةُ بالدُوارِ , حَمَلَها الفيلُ علَي ظَهْرِهِ وعادَ بِها إلَي قِبيلَتِها .

ذَهَبَ الثَعْلَبُ إلَى الفيلِ وقالَ لهُ: إنَّ النَعامَةَ تَقولُ: بأنَّ خُرْطومَكَ شَكْلُهُ قَبيحٌ ، وأَنَّكَ أَنانِيٌّ ، وأَنَّكَ حَمَلْتَها علي ظَهْرِكَ دونَ رَغْبَةٍ مِنْها , لِتُظْهِرَ لِمَنْ في الغابَةِ أَنَّك شَهْمٌ ، وهِيَ لا تُحِبُّ السَيْرَ مَعَكَ ، وَلَكِنَّكَ أَجْبَرْتَها علَى ذَلكَ .

غَضِبَ الفيلُ منْ هذَا الكَلامِ الذي قيلَ علَى لِسانِ الثَعْلَبِ ، ولمْ يكُنْ يعَلَمُ أَنَّهُ منْ افْتِراءِ وكَذِبِ الثَعْلَبِ .

قالَ الفيلُ لا بُدَّ أنْ أُلَقِّنَ النَعامَةَ دَرْساً لا تَنْساهُ لِلْأَبَدْ ؛ لأَنَّها أَساءَتْ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْها ، ولَمْ يَتَأَكَّدْ الفيلُ منْ صِدْقِ الكلامِ الذي قالَهُ الثَعْلَبُ لَهُ .

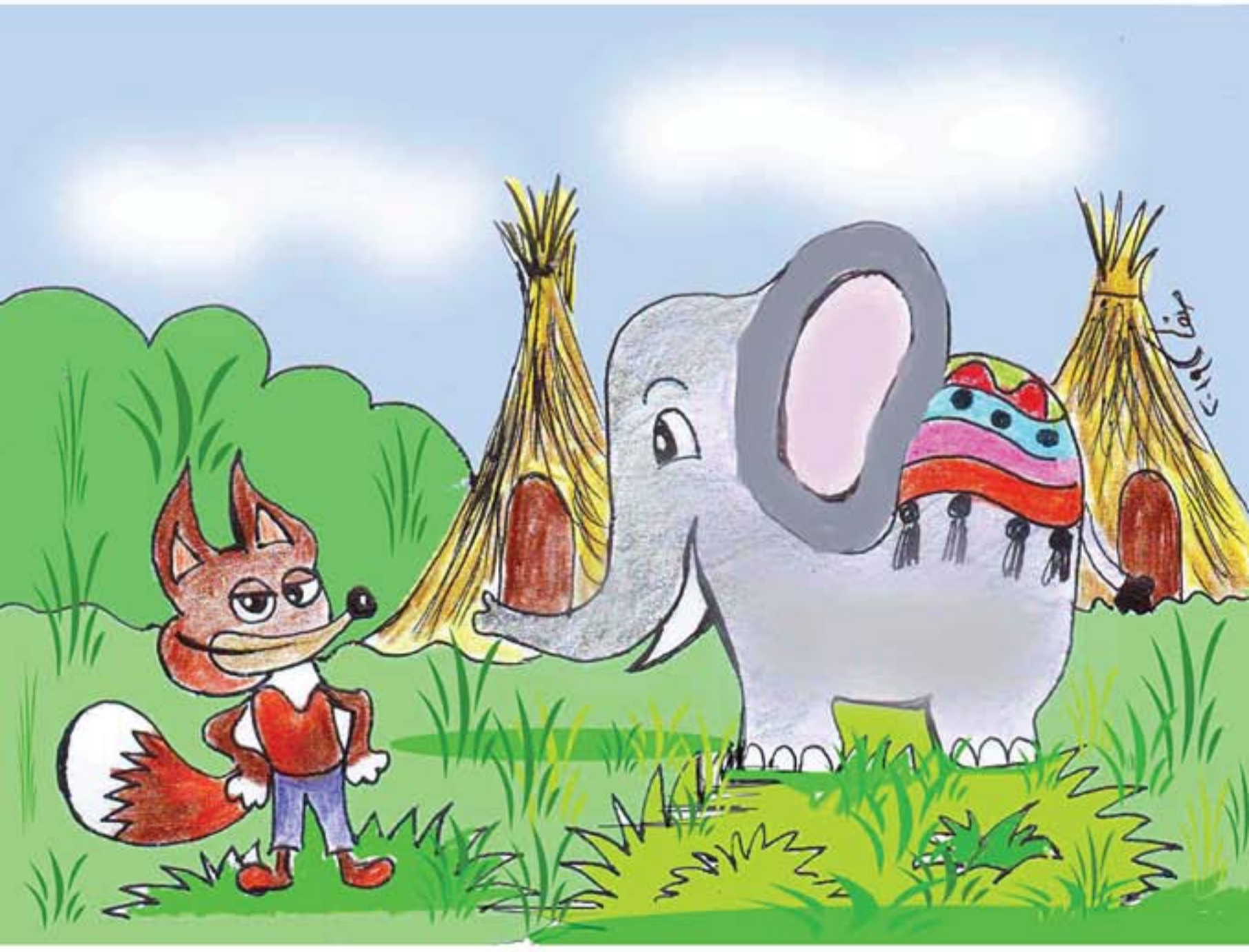

ذَهَبَ الفيلُ إِلَى النَعامَةِ ، وطَلَبَ مِنْها السَيْرَ مَعَهُ لِكَيْ يَتَحَدَّثا في أَمْرٍ هامٍ ، تَعَجَّبَتْ النَعامَةُ منْ هَذهِ الزِيارَةِ المُفاجِئَةِ , وَلَكِنَّها لَبَّتْ نِداءَ صَديقِها الفيلَ . وسارَتْ النَعامَةُ معَ الفيلِ , وهِيَ تَنْتَظِرُ مِنْهُ أَنْ يُعْلِمَها بالأَمْرِ الذي طَلَبها منْ أَجْلِهِ ، ولَكِنَّهُ ظَلَّ صامِتاً , فَسَأَلَتْهُ ماذا تُريدُ أَيُّها الصَديقُ العَزيزُ ؟ .

قالَ أُريدُ أنْ تَذْهَبي مَعي إلَي صَديقٍ عَزيزٍ , فَصَمَتَتْ النَعامَةُ ولمْ تَتَكَلَّمْ .

ظلَّ يَسيرُ وهيَ تَسيرُ مَعَهُ , وكانَ الجَوُّ شَديدَ الحَرارَةِ , حتَّي ظَمِئَتْ النَعامَةُ .

وطَلَبَتْ منْ الفيلِ أنْ يَذْهَبا إلَي أَقْرَبِ عَيْنٍ مائِيَةٍ لكَيْ تَشْرَبَ.

فَأَخَذَها الفيلُ إلَي نَفْسِ العَيْنِ التي شَرِبا منْها المَرَّةَ السابِقَةَ , فَشَرِبَ هُوَ وحْدَهُ ,

ثمَّ قامَ بتَعْكيرِ المِياهِ , ولمْ يَمْلَأْ خُرْطومَهُ ويَسْقِيَها كَما فَعَلَ المَرَّةَ السابقة ,

وهُوَ يَعْلَمُ أنَّها لنْ تَسْتَطيعَ أنْ تَشْرَبَ بِنَفْسِها منْ هَذِه العَيْنِ فَهِي عَميقَةٌ جدَّاً ,

ثمَّ تركها الفيلُ وعادَ وَحْدَهُ .

تعجَّبَتْ النَعامَةُ منْ ما حَدَثَ منْ الفيلِ , وبَكَتْ حُزْناً منْ تَصَرُّفِهِ العِجيبِ .

عادَتْ النَعامَةُ إلَى قَبيلَتِها وهِيَ في غايَةِ التَعَبِ ، فَقَدْ سارَتْ وهيَ ظَمآنةٌ ، حتَّى وَصَلَتْ إلَى قَبيلَتِها ، فَشَرِبَتْ ثُمَّ ارْتاحَتْ ، وقالَتْ لِماذَا فَعَلَ الفيل مَعي هَذا ؟ .

ثمَّ اشْتَكَتْ منْ ما حَدَثَ منْ الفيلِ إلَى صَديقَتِها البَقَرَةُ .

قالَتْ لَها البَقَرَةُ : لا تَقْلَقي يا عَزيزَتي النَعامَةُ , لا بُدَّ أنَّ هُناكَ سَبباً لِذَلِكَ ، فالأَمْر غَيْرُ طَبيعِيٍّ .

وظَلَّتْ البَقَرَةُ تَبحَثُ عنْ الأَسْبابِ ؟ وسَأَلَتْ الأَصْدِقاءَ ، حتَّي عَلِمَتْ منْ أَحَدِ أَقَارِبِ الفيلِ أنَّ الثَعْلَبَ قدْ زارَ الفيلَ قَبْلَها بِيَوْمٍ واحِدٍ ، وقَدْ سَمِعَهُ أَحَدُ الفِيَلَةِ الصِغارُ ، وحينَ سَأَلَتْهُ البَقَرَةُ , أَكَّدَ لَها أنَّ الثَعْلَبَ قدْ قالَ كَلاماً علَى لِسَانِ النَعامَةِ لمْ تَقُلْهُ لكَيْ يُفْسِدَ العِلاقَةَ بَيْنَها وبينَ الفيلِ .

عَلِمَتْ النَعامَةُ أنَّ الفيلَ لا ذَنْبَ لَهُ ، ولَكِنَّ الثَعْلَبَ كانَ هُوَ السَبَبُ .

وتاهَ ابْنُ الفيلِ ذاتَ يوْمٍ ، ظَلَّ الفيلُ يَبْحَثُ عَنْهُ هُوَ وقَبيلَتِهِ ولَكِنْ لمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَكَانَهُ , ظَلَّ الفيلُ حَزيناً عَلَيْهِ .

عَلِمَتْ النَعامَةُ بما حَدَثَ لابنِ الفيلِ فأَسْرَعَتْ بِالبَحْثِ عَنْهُ دونَ عِلْمِ الفيلِ ، لأنَّ النَعامَةَ أَخَفُّ وَزْناً وأَكْثَرُ سُرْعَةً منْ الفيلِ كَما أَنَّها طَلَبَتْ منْ أَصْدِقائِها منْ الطُيورِ مُشارَكَتِها في البَحْثِ عنْ ابِن الفيلِ .

ولمْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَويلٌ حتَّي جاءَتْ به إلي الفيلِ، وحينَما عادَتْ بهِ فَرِحَ الفيلِ بعودتِهِ كثيراً , ولَكِنَّهُ تَعَجَّبَ منْ مَوْقِفِها مَعَهُ خاصَّةً وأَنَّهُ أَساءَ إِلَيْها قَبْلَ ذَلكَ .

قالَتْ النَعامَةُ للْفيلِ بِأَنَّها قَدْ عَلِمَتْ سِرَّ غَضَبِهِ مِنْها , وأَنَّ السَبَبَ هُو الثَعْلَبُ ، الذي قالَ عَنْها كَلاماً لمْ تَقُلْهُ , وأَنَّ الثَعْلَبَ كانَ يُريدُ الوَقيعَةَ بَيْنَهُما .

حزنَ الفيلُ ممَّا حَدثَ منْ الثَعْلَبِ ، وقالَ : لا بُدَّ أنْ نُعَلِّمَهُ دَرْساً لا ينَسْاهُ أَبداً .

واتَّفَقَ معَ النَعامَةِ علَى حيلَةٍ لِتَأتي بِهِ .

وذَهَبَتْ النَعامَةُ إلَى الثَعْلَبِ ، وقالَتْ لَهُ : أَيُّها الثَعْلَبُ ، إنَّ الفيلَ مَرِضَ مَرَضاً شَديداً لا يَسْتَطيعُ التَحَرُّكَ ، وقالَ : لا بُدَّ منْ إحْضارِ الثعْلَبِ فَهُوَ الصَديقُ المُخْلِصُ الوَحيدُ الذي أَثِقُ فيهِ , ويُريدُ أَنْ يهِبَكَ هَدِيَّةً قَيِّمَةً , قالَ الثَعَلَبُ : وهَلْ لا يوجَدُ أَحَدٌ منْ إخوَتِهِ يَسْتَحِقُّ الهَدِيَّة بَدَلاً مِنِّي ؟

قالَتْ النَعامَةُ : إنَّهُ الحُبُّ والثِقَةُ ، فَحُبُّهُ لكَ جَعَلَهُ يَخْتَارُكَ دونَ غَيْرِكَ بِهَذِه الهَدّيَةِ الثَمينَةِ .

ذَهَبَتْ النَعَامَةُ بالثَعْلَبِ إلَى الفيلِ ، ولمَّا وَجَدَهُ الفيلُ قالَ لَهُ: يا صَديقي الثَعْلَب إنَّني مَرِضْتُ مَرَضاً شديداً , وقَدْ أَوْصَيْتُ بِأَنْ تَعيشَ بيْنَ قَبيلَتي مُعَزَّزاً مُكَرَّماً تَحْميكَ الفِيَلُة ، فلَنْ يَتَجَرَّأَ أَحَدٌ عَلى إيذائِكَ , و اذْهَبْ يا صِديقي الثَعْلَبُ إلَي أعْلَى الهَضَبَةِ ، وَسَوْفَ تَجِدُ هناكَ صَيْداً ثَميناً قدْ تَرَكْتُهُ لكَ، وسوْفَ تفرَحُ بهِ كَثيراً , لأَنَّهُ سَيَكْفيكَ أَنْتَ وأُسْرَتُكَ , قالَ الثَعْلَبُ مُتَعَجِّباً : ولَكِنْ لِماذا تركْتَهُ بَعيداً عنِّي ؟!

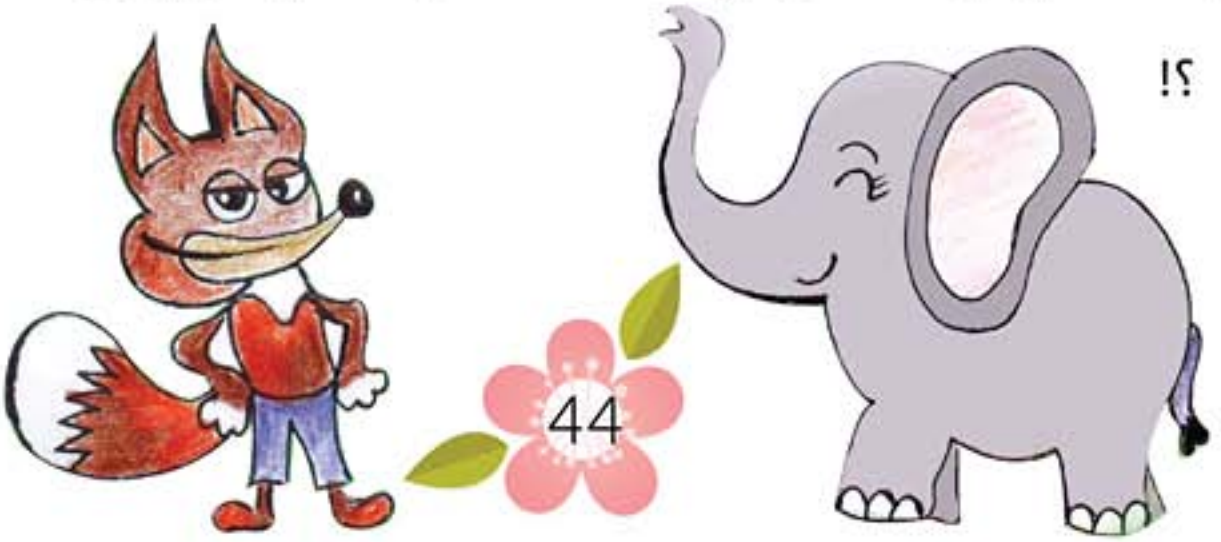

قالَ الفيلُ : إنَّهُ صَيْدٌ ثمينٌ لَكَ , تعْلَمُ أننَّا نَحْنُ الفِيَلةُ منْ آكِلاتِ الأَعْشابِ , أمَّا اللُحومُ فَلا نَأْكُلُها , ولَوْ جِئْتُ بِها هُنا لرَآها الأَسَدْ ، وهُوَ جارٌ لَنا , ولَوْ طَلَبَ هَذا الصَيْدَ فَلَنْ نَمْنَعُه عَنْهُ , فاذْهَبْ إِلَيْهِ وسَوْفَ تَجِدُ ابنْي الفيلَ الصَغيرَ هُناكَ سوْفَ يُساعِدُكَ في حَمْلِهِ إلَي مَسْكَنِكَ لِتَأْكُلَ أَنْتَ وَأَوْلادُكَ .

فَرِحَ الثَعْلَبُ بِكَلامِ الفيلِ , وذَهَبَ إلَى أعْلَى الهَضَبَةِ ، فَوَجدَ الصَيْدَ الثَمينَ .

وَوَجَدَ الفيلَ ومَعَهُ صَديقٌ لَهُ .

قامَ الفيلُ الصَغيرُ وصَديقَهُ بِضَرْبِ الثَعْلَبِ ضَرْباً مُبْرِحاً . وقالا لَهُ : هَذا جَزاءُ سَعْيِكَ بالنَميمَةِ بينَ الفيلِ والنَعامَةِ .

عادَ الثَعْلَبُ إلَي مَسْكَنِه يَزْحَفُ علَى الأَرْضِ منْ شِدَّةِ التَعَبِ ، وظَلَّ أَيَّاماً في قَبيلَتِهِ دونَ حَرَكَة حتَّي الْتَأَمَ جَرْحُهُ .

وَمَرَّتْ الأَيَّامُ ، وشُفِيَ الثَعْلَبُ , ولَكِنَّهُ قدْ تَعَلَّمَ دَرْساً قاسِياً ، فَكانَ كُلَّما رَأى الفيلَ والنَعامَةَ يَسيرانِ سوِيَّاً ينظر إليهما ، ويَتَذَكَّرُ ما حَدَثَ لَهُ .

أمَّا الصَدَاقَةُ بينَ الفيلَ والنَعامَة ِ، فَقَدْ أَصْبَحَتْ عَميقَةً وقَوِيَّةً ، ولَمْ يُؤَثِّرْ فيها شَيْء بَعْدَ ذَلكَ. وتَعَلَّم الفيلُ أنْ لا يُصَدِّقَ كُلَّ كَلامٍ يُقالُ لَهُ إلَّا بَعْدَ أنْ يتَأَكَّد مِنْهُ بِنَفْسِهِ .